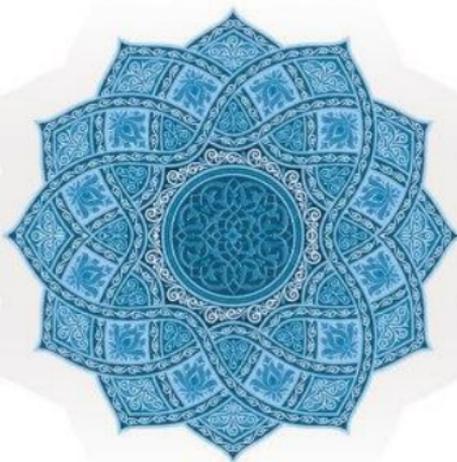


# تجرباتي التربوية في الحياة

القسم الأول - في الحكمة



محمد باقر السيستاني



# تجربتي التربوية في الحياة

القسم الأول - في الحكمة

محمد باقر السيستاني

محاضرة ألقيت على جمع من طلبة الجامعات

بتاريخ ٦ رجب الأصب ١٤٤٠ هـ

في النجف الأشرف



## هذه السلسلة

مجموعة محاضرات أقيمت في جمع من أساتذة وطلاب الجامعات، وكانت في الحديث عن السلوك الراشد والقيم التربوية السليمة التي ينبغي أن يجري عليها الإنسان في هذه الحياة وفق المنظور الفطري الذي أكد عليه الدين.

إذ ليس هناك من غنى لأي إنسان راشد مهما كان دينه واعتقاده عن تحري الاتجاه السليم في هذه الحياة في التربية والسلوك سواء بالنسبة إلى نفسه أم بالنسبة إلى من هو معني به من أولاد أو تلاميذ أو سائر أفراد المجتمع.

وتتأكد الحاجة إلى ذلك في الدين بالنظر إلى ما تضمنه من كون هذه الحياة فرصة ومضماراً للسباق في التبصر والسلوك الفاضل والسليم، وسوف تظهر نتائجه غداً في نشأة أخرى. ومن ثم نجد التأكيد على القيم السلوكية والتربوية في الدين.

فالهدف من هذه السلسلة أن نتشارك مع الإخوة الأعزة المعاني التربوية السليمة لأننا في مسيرة واحدة في هذه الحياة.



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على جميع الأنبياء والمرسلين، لاسيّما (محمّد) خاتم النبيّين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

يسرّني اللقاء بالإخوة الأعزّة - من طلبة الجامعات -  
للحديث حول السلوك التربوي الراشد في الحياة  
وتجربتي في ذلك.

## تمهيد:

لا شك في أنه لا يصح للإنسان أن يتحرر في سلوكه  
وتصرفاته في هذه الحياة انطلاقاً من ميوله وغرائزه التي  
يجدها، فيندفع وراء كل ميل وينساق إلى كل غريزة، بل  
هناك حدود راشدة ينبغي للإنسان مراعاتها.

وعليه فإن من الضروري لكل إنسان راشد أن يشخص السلوك الراشد والسليم في هذه الحياة. وإنني كنت قد تأملت في هذا الأمر لِنفسي ولمسيرتي في هذه الحياة، وكوّنت لِنفسي من خلال تجاربي في الحياة قد بلغت نيفاً وخمسين سنة رؤية عن محددات السلوك الراشد انطلقت فيه من الأخذ بما جُهِّز به الإنسان وفُطر عليه في تكوينه النفسي، والتأمل في أحوال العقلاء، وتأكدت منها من خلال الرسائل التي بعثها الله سبحانه إلى الإنسان - بعد الاستيثاق من صدقها - لاهتمام هذه الرسائل بتحديد السلوك الراشد للإنسان في هذه الحياة.

ولقد كان تأملي دوماً على مستويين:

١ - مستوى إنساني بحث أنظر فيه إلى ما ينبغي أن أكون عليه كإنسان راشد أو بالأحرى كإنسان يسعى إلى الرشد وفق ما جُهِّز به في تكوينه وفطرته - بغض النظر عن أمر الدين -.

٢ - ومستوى ديني أنظر فيه إلى ما يمليه عليّ الدين بما توصلت إليه من حقانيته والثقة به كرسالة بُعثت من الله سبحانه إلى الإنسان.

وقد لاحظت أنّ الدين لا يغير شيئاً من أصول الاتجاه الراشد والسلوك السليم في الحياة، إلا أنه يضيف آفاقاً وأبعاداً للوجود وللإنسان يقتضي أن يأخذها بنظر الاعتبار، كما أن له تعاليم تفصيلية إما مؤكدة للحكمة والأخلاق الفاضلة أو مستجيبة لها في مساحات متشابهة وغائمة التي لا يدركها العقل ابتداءً.

وقد طلب مني الإخوة أن أصف تجربتي التربوية في هذه الحياة فاستجبت لذلك ليكون ذلك مشورة لكل إنسان راشد في مستقبل حياته على التبصر في أمر حياته واختيار السلوك اللائق فيها، لأجل الاستثمار الأمثل لها وبلوغ المستوى المقدر فيها.

وكنت قد ذكرت من قبل في كتاب حول قواعد السلوك الحكيم في هذه الحياة - قد أسميته بـ(أصول تزكية النفس وتوعيتها)<sup>(١)</sup> - ما يوضح مباني هذا التوصيف

---

(١) وقد اشتمل على ثمانية أصول: الأول: التحلي بروح الحكمة في الحياة. الثاني: قوة العقيدة الصائبة. الثالث: معرفة سنن السعادة والشقاء في الحياة. الرابع: معرفة الإنسان لنفسه. الخامس: معرفة الفضائل والردائل. السادس: اتباع الشرعة واجتناب البدعة.

على وجه أكثر تفصيلاً.

### دعامتان للسلوك الراشد:

لقد لاحظت في هذا السياق أن هناك دعامتين للسلوك الإنساني الراشد قد زُرعتا فعلاً في فطرة الإنسان كما أجدّه في نفسي، وهما:

١ - رعاية الحكمة.

٢ - رعاية الفضيلة.

أما رعاية الحكمة فالمراد بها أن يضع الإنسان كل شيء موضعه ويتجنب الخطأ في الحياة، وذلك لأن الحياة مبنية على سنن محددة تفضي فيها أمور محددة إلى نتائج مناسبة لها كما نجد ذلك في عالم الطبيعة، حيث تؤدي النشاطات الطبيعية - الكيميائية والفيزيائية والحيوية - إلى آثار معينة، فتؤدي الجراثيم والفيروسات مثلاً إلى الأمراض، كما تؤدي الخلايا السليمة إلى الصحة والسلامة، فسلوكيات الإنسان تؤدي إلى نتائج محددة

---

السابع: محاسبة النفس. الثامن: تربية النفس. وقد طُبع الجزء الأول المشتمل على الأصول الأربعة الأولى.

أيضاً في المستوى النفسي والعقلي والجسدي والاجتماعي .  
وعليه فإن من الضروري أن يراعي الإنسان في سلوكه ما  
يحقق له غاياته التي ينظر إليها، فلا يختار متعة قصيرة  
توجب مضرة طويلة، ولا يتخذ قراراً عاجلاً يؤدي إلى  
الندم آجلاً، فتناسب سلوك الإنسان مع الغاية التي  
يريدها هو أمر بديهي انطلاقاً من الغاية ذاتها.

فلا ينبغي للإنسان بعد قدرته على التفكير وامتلاكه  
الإرادة الحرة أن يعيش لحظياً وفق ما تمليه عليه غرائزه  
وطباعه في حينه كما هو حال الحيوانات، بل عليه أن  
يستحضر غايته وينسق أفكاره وسلوكياته معها.

وتألف الحكمة من عنصرين: وهما التشخيص  
الصائب المتبوع بالعمل السديد، ولا يكفي صواب المرء  
في تشخيص الموقف في أن يكون حكيماً، فمن علم أن  
التدخين يضره فقد علم بالرأي الصائب ولكنه إذا لم  
يعتبر به لم يتصف بالحكمة، بل كان رأيه حجةً عليه  
ودلالةً على ضعفٍ فيه.

وأما رعاية الفضيلة فالمراد بها رعاية القيم المودعة في  
النفس الإنسانية المعبر عنها بالضمير، وهذه القيم هي  
على ضربين:

**الأول:** ما تحدد المشروعية الأخلاقية للسلوك من عدمها، مثل لزوم الصدق والوفاء بالعهد والعدل ونحوها، فإن الكذب والخيانة والظلم وأخواتها ليست أموراً مشروعة وإن حققت للإنسان مصلحة يسعد بها.

**الثاني:** ما يمثل فضيلة زائدة للإنسان، من قبيل الإيثار والتضحية من أجل الآخرين فيما لم يجب بالتزام ونحوه، فإن ذلك ليس بواجب في نفسه ولكنه عمل فاضل.

وتمثل قيم المشروعية قوانين الحياة حقاً، فلو تأملت الحياة الإنسانية بدون خصلة الصدق والوفاء والعدل وأخواتها بأن لم يكن الإنسان يجد حرجاً في الكذب والخيانة والظلم ونحوها لم يكن هناك معنى للإنسانية إلا التفكير المحض - على حد العمليات الكمبيوترية - والذي يمكن أن يستغل لمزيد من الكذب والتدليس والخيانة والظلم مما يجعل الإنسان أكثر توحشاً من الحيوانات.

فالقيم الأخلاقية لمشروعية السلوك حقاً هي أصول الحياة وقواعدها والتي لا تستقيم الحياة الإنسانية من دونها، والإنسان مفطور على هذه القوانين كجزء مما جُهِز

به في خلقتة، ولا محيص له عن اتباعها، ومن ثم تكون مراعاتها ضرباً من الحكمة.

وأما القيم الأخلاقية الأخرى الراجعة: فهي أيضاً معانٍ رائعة ذات جمال معنوي كبير، تعطي للإنسان سعادةً روحيةً وشعوراً بالإنجاز وتحقيقاً لإنسانيته. وهذه القيم أيضاً آثار إيجابية كثيرة في حياة الإنسان بما يجعل مراعاتها أليق بالحكمة والرشد.

وبذلك تبين لي أن هناك علاقة بين الحكمة والفضيلة، لأن الفضيلة أيضاً تحقق مصلحة ملائمة للإنسان، إلا أن الإنسان يشعر في ممارسة الفضيلة بنحو من التضحية والرقى لا يجدها في ممارسة الحكمة لذاتها، فمن تجنب إيذاء الغير حيث يعود عليه هذا الإيذاء بالضرر تجنباً لهذا الضرر كان تجنبه حكيماً، وأما إذا تجنبه لأنه يكره إيذاء الآخر وإن لم يتضرر به فهو سلوك فاضل. إذاً فالسلوك الراشد مبني على هاتين الدعامتين معاً، فعلى الإنسان مراعاة القيم الأخلاقية وإن توقع تضرره بها، كما أن عليه أن يسعى إلى تحقيق ما يصبو إليه من السعادة ويحذر العناء والشقاء من غير ما سبب معقول - كأن يوقع نفسه في مضرة كبيرة بقرار عاجل ولذة عابرة -.

وعلى الإنسان الراشد أن يسعى إلى المزوجة بين الحكمة والفضيلة، فإن للحكمة محددات من القيم الفاضلة، فلا يجوز للمرء أن يتحرى سعادته بارتكاب خطيئة في شأن الآخرين - كما يفعله بعض الناس ويعتبره ضرباً من الدهاء والسياسة -، كما أن للفضيلة محددات من الحكمة، فلا ينبغي مثلاً للإنسان أن يسرف في الإنفاق على الفقير بما يخلّ بحاجاته الأساسية كما جاء في القرآن الكريم - رغم تأكيده الأکید على الإنفاق والإحسان -: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (١).

وإنني أرى أنّ عليّ أن أستمع إلى واعيّة الحقيقة والحكمة والضمير الأخلاقي في داخلي وأصغي إليها حتى أسمع صوتها بوضوحها، فلا تشوش عليّ فورة الغرائز والانفعالات والاندفاع المصاحب لها، وتغطي على هذا الصوت بصخبها ووضائها.

وسوف أصف في هذه المحاضرة رؤيتي التربوية في

(١) سورة الإسراء: ٢٩.

الحياة في الجزء الحكيم منها وأوكل توصيف الجزء  
القيمي منها إلى محاضرة أخرى لعدم سعة الوقت  
المخصص للمحاضرة في هذا اللقاء.

### دعامة الحكمة:

لا شك في أن الإنسان يسعد بأشياء ويعاني من أشياء  
أخرى، فهو يسعد بالنعم التي أُعطيها مما يوجب له راحةً  
أو لذةً مهما كانت قليلة، حتى إنه يسعد بالفرصة التي  
يستريح فيها واللحمة التي يتناولها والجرعة من الماء عندما  
يذوقها، كما أنه يتأذى جسدياً ونفسياً من أبسط الأشياء،  
فيتأذى من الشوكة تصيبه والكلمة تجرحه، فما بالك بما  
هو أعظم من ذلك من وجوه الأذى والعناء.

ولا شك أيضاً في أن الإنسان مفطور على طلب  
السعادة وتجنب العناء والشقاء، فهو يتحرى أسباب  
السعادة من الاستجابة للغرائز والحوائج المعنوية، كما  
يجذر من أسباب الشقاء التي تؤدي به إلى معاناة إلهام  
الغرائز والحوائج الفطرية دون أن يتاح له الاستجابة لها.

وليس هناك من شك - مرة أخرى - في أن الإنسان  
لن يحصل في حياته على كل سعادة يتمناها، كما لا يستطيع  
تجنب كل عناء يتوقاه ويجذره، فلم تُبنِ هذه الحياة بحسب

سننها على ما يتيح ذلك للمرء مهما أوتي له من أسباب السعادة وأمكنه الحذر عن عوامل العناء والشقاء، فهناك مقادير في الحياة توجب اختلاط خيرها بشرّها وسعادتها بعنائها، فذلك أمر مكتوب على الإنسان لا محيص له عنه. ويكفي في ذلك أن الإنسان لو أُتيح له أن يسلم عن كل عارض منكدّ فإنه يتحرك بعد مرحلة الشباب لا محالة إلى التوقف ثم التراجع في قدراته وقابلياته الذهنية والنفسية والجسدية والاجتماعية من خلال عوارض وأمراض حتى تؤدي به إلى مفارقة هذه الحياة، إذ لم يكتب له الخلود فيها.

ولكن مع ذلك فإن الإنسان يستطيع ترشيد سلوكه في هذه الحياة بما يكون أكثر سعادةً وأقلّ عناءً، أو أقرب إلى ذلك على الأقلّ، لأنه مزود بالقدرة على التفكير الذي يستطيع من خلاله معرفة مضاعفات الخيارات المختلفة والموازنة بينها إلى حد كبير، كما أنه مزود بالقدرة على الاختيار للخيار الأرشد.

وهذا الترشيد هو الذي أعنيه بوصف الحكمة.

فالحكمة أن يبحث المرء عن الخيار الأرشد في الحياة في ضمن الخيارات المتاحة له، بالنظر الشامل إلى العاجل والآجل، والحاضر والمستقبل، ثم يختار هذا الخيار ولو

اقتضى صبراً مريراً وانتظاراً متعباً، تحسباً لنتائج أحسن  
وعواقب أحمد.

وإنّ الحكمة في الحياة هي صفة رائعة ومثمرة للغاية،  
لأنها تحقق للإنسان السعادة التي يحتاجها وتجنبه العناء  
الذي هو في غنى عنه والذي يستوجب له حسرةً وندماً.  
وإنما الحكمة الواقية مثل الوقاية الصحية التي قد  
تقي الإنسان بخطوات قليلة من أمراض صعبة ومرهقة،  
كما أن الحكمة المعالجة مثل عثور المريض على طبيب ماهر  
وخبير يعالج له المرض فيريحه منه بعد عناء وتعب، ولو لم  
يعثر عليه لطلال مرضه وكثرت مضاعفاته. وعموماً هناك  
شبه بين علم صحة البدن وعلاجه (علم الطب) وبين  
التحلي بالحكمة في الحياة.

وحقاً ما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقد لاحظت أن الإنسان زُود بالنزوع إلى الحكمة  
فعلاً، فهو يدرك أنه لا ينبغي الاستجابة للميول العاجلة

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.

والغرائز الملحة بشكل مطلق بل ينبغي الانتباه إلى مضاعفاتها والموازنة بينها. وفي هذه النقطة يتحقق الصراع بين الغرائز وبين النزوع إلى الحكمة.

والذي وجدته من خلال تجاربي في الحياة وتأمل أحوال الآخرين أنّ طريقة الترشيد الحكيم أن يرمج الإنسان نفسه وفكره في هذه الحياة على أن يدرس خطواته ويتأملها قبل اتخاذها لمعرفة مضاعفاتها ونتائجها. فقد لاحظت أن المرء منذ تجاوز مرحلة الطفولة والصبا واستقلاله في القرار قد يتخذ خطوة يسترسل فيها أو يشعر بالسعادة والراحة واللذة فيها فينزلق بها من حيث لا يحتسب إلى عناء وشقاء لم يحسب حسابه، فيندم إن انتبه من تلك الخطوة ويعتبر بها، فيودّ لو تجنّبها ولم يسترسل فيه - إن كان عاقلاً حكيماً -، فإن لم ينتبه أو لم يعتبر كرّرت عليه الحياة تجاربها واتبع عناءها بعناء آخر وشقاءها بشقاء آخر.

وتلك ظاهرة ملحوظة بشكل عام لدى العقلاء والراشدين لا سيما بعد تجاوز مرحلة الشباب، فقلّمًا تجد شخصاً تجاوزها إلا وهو يبدي ملاحظات على بعض أفكاره وسلوكياته واسترسالاته في فترة الشباب، ولو

استقبل من أمره ما استدبر لاختلاف سلوكه ونظرتة إلى الأمور، ومن ثم ترى أن الآباء والأمهات يرغبون في تجنب أولادهم لبعض ما وقعوا فيه في فترة شبابهم، كما أن ما يرتكبه الشاب اليوم قد لا يرضاه غداً لأولاده.

إذاً من الحكمة مزيد من الثبت وضبط الاندفاع في الحياة ولا سيما في مرحلة الشباب والمراهقة.

إنّ الشباب يمثل عنفوان الإنسان في الطاقات الذهنية والنفسية والجسدية، ويمثل ما يكتسبه الإنسان فيه رأس المال في طول حياته، إلا أنه ينبغي الانتباه إلى أن الحكمة ليست من قبيل العلوم الطبيعية أو الرياضية حتى يمكن اكتسابها دفعةً، بل هي إرهاصات تدريجية تنتهي إلى تراكمات معرفية متجمعة بتأملات متعاقبة وتجارب متتابعة ونصائح متكررة.

وإنّ من الأخطاء التي تقع في فترة المراهقة والشباب أو ما بعدها ما هو في المستوى النفسي والاجتماعي أشبه بالجرح الذي لا يندمل والثغرة التي لا تُسدّ والعثرة التي لا تُقال والسوابق التي لا تُنسى.

وأمامي أمثلة كثيرة من شباب أو مراهقين وما بعدهم من المراحل العمرية وقعوا في أمور ترهقهم

وتشقيهم وتؤثر على مستقبلهم تأثيراً قليلاً أو كثيراً، ويترك بعضها ندوباً في نفس الإنسان وحياته الأسرية والاجتماعية يصعب الشفاء منها، ولن يقاس ما يقاسيه المرء جراء تلك الخطوات بما وجدته فيها في حينها من راحة ولذة غمرته خلالها.

ومن أمثلة ذلك العلاقات العاطفية المتسرفة، والصدقات المؤدية إلى مسارات خاطئة، والتخطيطات الفاشلة، والانفعالات السريعة، والتجارب المريرة، فالحياة مليئة بهذه الحوادث من شباب ابتلوا بالمخدرات وهم لا يعلمون أنها سبب لانهيار الاستقامة النفسية للإنسان، مما يؤثر على مستقبلهم وحياتهم الأسرية والاجتماعية والاقتصادية تأثيراً سلبياً بالغاً، وآخرين انفعلوا فارتكبوا أفعالاً أدت إلى خطايا كلفتهم السجن أو التعويض الكثير، وآخرين يتكاسلون في عز شبابهم في إتقان مهنة أو تخصص محترم يكون ضماناً لحياتهم وحيات أسرهم، ويقضون أوقاتهم في المقاهي والصدقات والألعاب ونحوها، وأزواج يسيء بعضهم إلى بعض مما يفسد حياتهم ويعكرها، وقد علموا أن سعادة بعض الأزواج - بعد أن تعاقدوا على هذا الميثاق - من سعادة

بعض آخر.

ولا تختص الإخفاقات في هذه الحياة بالمراهقين والشباب، بل وجدت ابتلاء كثير من الناس في مراحل عمرية لاحقة بإخفاقات أسرية أو اجتماعية أو اقتصادية كبيرة، فمن أزواج يسببون أو يسعون إلى الطلاق بعد أن مضت ذروة شبابهم معاً، وآخرون يسببون إلى مشاكل أسرية بعلاقات عابرة لا تحافظ على مكانتهم الاجتماعية وموقعهم التربوي في الأسرة بما يؤدي إلى مضاعفات توجب لهم عناءً وشقاءً، وآخرون يقدمون على معاملات وخطوات اقتصادية غير مدروسة فيذهب رأس مالهم في لحظة.

إذاً أرى أنه إذا كان الإنسان طالباً للسعادة وحذراً من العناء والشقاء حقاً فعليه أن يسعى إلى مزيد من الرشد والانتباه إلى سداد الخطوة أو خطئها، وأن يستمع إلى النصيحة والمشورة التي يتلقاها في الأسرة أو خارجها، وينتفع بتجارب الآخرين، ولا يتسرع فيقع محلاً للتجارب المريرة والمؤذية.

ولا أشك أن وقوع الإنسان في الخطأ أحياناً أمر لا محيص له عنه، لأنه يأبى في كثير من الحالات إلا أن يياشر

الأمر ويجربها، لكن إذا كان كذلك فلا ينبغي أن يجعل محل تجربته أموراً مصيرية ومزمنة وخطيرة أو ما يكون مزلقاً إليها، لأن هذه الأمور قد لا يكون للمرء خط رجعة فيها، فهو يفقد سعادة شخصية أو أسرية أو اجتماعية أو اقتصادية لن يستطيع إرجاعها، على أنه يصرف لأجل أمله في رجوعها جهوداً مضيئة ما كان أغناه عنها لو اتصف بقليل من الحذر في أولها.

إذاً أرى أن على الإنسان أن لا يكون ابن اللحظة التي يعيش فيها فيستمتع فيها بالاسترسال في الاستجابة لغريزة أو انفعال أو تعلق ليعاني بعده عناءً طويلاً، ينغص عليه الحياة رغم كثير من النعم التي يمتلكها فيها.

وقد يملكني اليأس في أمر حياتي فيترأى لي: أي لن يتاح لي أن أتصف بالحكمة التي تقيني مكاره الحياة، لأن أسرار الحياة ليست بالتي تنكشف تماماً، وفي كل بعد من أبعاد حياة الإنسان الشخصية والأسرية والاجتماعية حوادث يجهل الإنسان عواقبها ومآلاتها؟

ثم إن المرء إذا يتأمل حياته السابقة يجد العديد من عناصر الإحباط فيها من جهة أخطاء أو خطايا ارتكبها يتمنى لو استطاع الرجوع إلى الوراء فتجنب بعض

خطواته واستبدالها بأرشد منها، يستطيع أن يمحيها في واقعها أو يمحي ذكراها وآثارها في ذهنه ونفسه وأذهان المجتمع الذي حوله ونفوسهم.

لكني أرى أنه لا جدوى لي في التألم المحبط على الماضي ولا القلق الذي يشلّ المستقبل، بل مقتضى الحكمة ذاتها أن أعتبر بكل ما مضى ليكون أداة بناء للمستقبل، وأن أسير بما يتأتى لي من الرشد من الآن فصاعداً.

نعم لا أشك أن الابتداء في إرساء السلوك الحكيم والراشد منذ بداية الرشد الإنساني في فترة المراهقة سيكون له تأثير أعمق في النفس هو أثبت لقواعد الحكمة وبنائها في النفس الإنسانية، كما أنه يقي المرء من تجارب مريرة في الحياة، إلا أنه لا محيص من تدارك المرء لأمره من حيث يستطيع، وما فات بعضه لا ينبغي تفويت كله، فما لا يُدرك كله لا يُترك كله.

### خطوات حكيمة في الحياة:

ومن ثم أجد لزاماً عليّ:

#### ١ - جعل التحلي بروح الحكمة هدفاً:

أولاً: أن أجعل التحلي بروح الحكمة هدفاً في ذهني حتى أتهياً للنظر الواعي إلى السلوكيات والحوادث؛

فرسم الهدف الصائب أول خطوة في أية مسيرة صحيحة، وهو إشارة برمجية للدماغ حتى يوعز العقل إلى الإنسان عندما يكاد يقع في الخطأ، أو عند الوقوع فيه، حتى يعتبر به لاحقاً.

ومن لم يرسم لنفسه هدف التحلي بروح الحكمة خبط في حياته خبط عشواء من حيث لا يحتسب ويدري.

## ٢ - التحلي بروح التعلم وأخلاقياته:

وثانياً: أن أتحدى بروح التعلم، فإنني وجدت أن الإنسان لا يستغني عن التعلم ما دام في هذه الحياة، فمن الضروري أن ينظر المرء إلى هذه الحياة كمدرسة يزداد تعلماً فيها من كل خطأ أو خطيئة يقع فيها أو يجدها لدى الآخرين، فالحياة حقاً مدرسة، ولكن لغة تعليمها هي الحوادث الماثلة فهي تفهم الإنسان بأسلوب الأمثال، وفي المثل ينتقل الإنسان من شيء خاص إلى معنى عام، فعلى المرء ان ينظر إلى كل ظاهرة وحادثة - لا سيما الظواهر والحوادث الخطيرة - نظرة تعلم واعتبار ويتنبه إلى أنها تعبر عن وجه عام من وجوه الحياة وسنة من سننها، وأن ما وقع لبعض الناس يكون البعض الآخر مظنة للوقوع فيه، فإن الناس أمثال وبعضهم مرآة لبعض آخر.

وقد لاحظت أن من مقتضيات التحلي بروح التعلم أن أتحملى بأخلاقيات التعلم في هذه الحياة، من التواضع والثبوت والإنصاف والسلامة عن التعلقات المفرطة، لأنني لاحظت أنني لن أستطيع من التعلم مع التمسك بالأنانية والتسرع في اتخاذ القرار والانحياز إلى النفس والتعلقات المفرطة والانفعالات السريعة.

كما أن من مقتضيات التعلم أن أسعى إلى فهم العلاقة بين الأشياء، وكيف يؤول بعض الأشياء بطبيعته - وإن تراءى غير مهم - إلى بعض آخر منها قد يكون خطيراً، فهناك سلوكيات إذا حدثت تستتبع أخواتها وتكوّن آثارها مجموعاً حالةً تراكمية تؤدي إلى أمور خطيرة كما نجد ذلك في سلوكيات الأطفال.

### ٣ - الاستغناء بالاعتبار عن التجربة المباشرة:

وثالثاً: أن أسعى إلى التعلم عن طريق التأمل المسبق في الأمور والنظر إلى ما يتفق للآخرين من وقائع الحياة، أو تلقي المشورة والاستماع إلى النصيحة ممن أجد فيه الحكمة والخبرة والنصح لي، دون طريق التجربة المباشرة للأمور في الحياة خاصة الخطيرة منها، فإن التجربة وإن كانت تزيد من علم الإنسان إلا أنها قد تؤدي إلى وقوع

الإنسان في مضائق كثيرة ودائمة أو صعبة لا يسهل علاجها وكان من الممكن تجنبها قبل وقوعها، على أن الوقاية في جميع الأحوال خير من العلاج.

وعلى الإنسان أن يتأمل أحوال الناس ويعتبرها، فكم من شخص ارتكب خطأ أو خطيئة وقع بسببها في السجن، وهو يتأمل فيما ارتكبه ويودّ لو لم يفعله، إذ لم يكن لذة في الاسترسال ومتعة الاستجابة للغريزة والانفعال في وقتها والتي تعادل هذا العناء الطويل له ولأحبائه الذين يهتم أمره، وكم من مجروح في المستشفيات قد وقع في حادث مرير أدى إلى اختلال صحته أو إلى عوقه في أثر تهور في السياقة، وكم من شاب وقع بسبب الصداقة والتجربة في أخطاء كبيرة مثل تناول المخدرات فأدى إلى انحراف مزاجه وافتقاد نشاطه واعتداله واستقامته ووقع فيما وقع، مع أن الذي يليق به العمل الجاد وادخار المال والإعداد للمستقبل لأجل أن يكون رجلاً بمعنى الكلمة ويكون أسرة محترمة وسعيدة؟

وكم من فتاة وقعت في فخ شاب استدرجها وخدعها موهماً محبته إياها وحرصها على مخالفة القيم

والأعراف المتينة والحكيمة، فلما وصل إلى غايته تركها إلى مصيرها، تكابد مضاعفات استرسالها، فهي خطوة مضت لذتها وبقيت تبعاتها، وهكذا..

لقد ساعدني الاطلاع على أحوال الناس والتبصر فيها من خلال الوقوف على أسئلتهم على الأخطار المحدقة بالإنسان، وحساسية خطواته في هذه الحياة. وإذا فات المرء الوقاية من الخطأ فوقع فيه فلا يفوتته السعي إلى الاعتبار به ومعالجته، فإنّ تقليل الضرر من حيث تيسر خيرٌ من زيادته، وإنّ بعض وجوه العلاج أشبه بالإسعافات الأولية التي تقي المصاب أحياناً من موت محقق بخطوات بسيطة مثل الحيلولة دون نزف الدم، فمن جهلها لم يستطع أن يحافظ على حياة المصاب مهما عزّت عليه.

#### ٤ - الحاجة إلى تربية النفس على الحكمة:

ورابعاً: أن أربي نفسي على التفكير والسلوك الحكيم حتى تكون الحكمة اتجاهها في نفسي.

فالحكمة ليست مسألة فكرية بحتة يطلع الإنسان على جوابها فتنتهي، وإنما هي مسار فكري وتربوي يمهد النجاح في خطوة منه إلى النجاح في خطوات مقبلة، كما

يؤدي الفشل أو التوقف إلى إعاقة هذا السير.

هذا وإنما مثل الإنسان الراشد مثل الإنسان قبل استكمال رشده (حيث يكون في مرحلة الطفولة) في الحاجة إلى رعاية راشدة، إلا إن الراعي للإنسان قبل استكمال الرشد هو الأسرة العائلية والتعليمية، وأما الراعي له والقيّم عليه بعد استكمال الرشد الأولي، فهو ينبغي أن يكون الإنسان نفسه، وليس توصيفه باستكمال الرشد بالبلوغ بالذي يعني أنه قد تحقق له تمام الرشد فعلاً، وإنما يعني أنه اكتسب الرشد الذي يصح أن يُحمّل مسؤولية عمله، ويتولى اكتساب ما يحتاج إليه من مزيد من الرشد بنفسه.

### ٥ - القدرة على نقد الذات:

وخامساً: أنني حيث كنت طالباً للسعادة فعلياً أن أنتبه أنني أحتاج إلى قدرة على نقد الذات، فقد وجدت أن قدرتي على تقييم تصرفاتي السابقة ومناقشتها تؤدي إلى مزيد من استلهام الحكمة، وتنمي في هذا الروح.

ومن الخطأ الذي يكثر وقوع الإنسان فيه كما لاحظته عن نفسي أن الإنسان كلما سُئل عن سلوك له برره بأسباب موضوعية ومنطقية بحتة، حتى كأن صدور هذا

السلوك منه كان هو التصرف الملائم الوحيد في موضعه، وليس لمزاجه النفسي الشخصي دخل فيه، ومن ثم نجد أن الإنسان دائماً يرضى عن عقله ويندب حظه، فهو لا يرى أن أي شيء غير ملائم في حياته قد حدث بسبب اختياره وإرادته أو إهماله، وإنما يسند حدوثها إلى أسباب لا دخل له فيها، مثلاً إذا سُئِلَ عن انفعال غاضب في أثر قول أو فعل للآخر قال: ألا ترى إلى ما قاله لي أو فعله؟

وعليه أن يفترض لنفسه في مثل هذه الحالات ابتلاء شخص آخر بمزاج مختلف بهذا الموقف ذاته، ويسألها هل كان يصدر من هذا الشخص مثل ما صدر منك؟

والجواب عن هذا السؤال طبيعة بالترديد أو النفي.

وبمثل هذه المقارنة يتبين للإنسان أن نوع استجابتنا للحوادث لا يترتب على طبيعة الحوادث الخارجية ومقتضياتها في حد نفسها، بل يترتب على طبيعة صفاتنا وأخلاقنا وسلوكنا، وينتهي ذلك إلى إرادتنا واختيارنا، لأننا لم نشأ أن نغيّر شيئاً من أنفسنا.

كما أنني أستطيع أن أجعل نقد الآخرين مهما كان قاسياً مدخلاً إلى مراجعة الذات ونقدها والانتباه إلى أخطائي وخطاياي، لأنه يكشف لي عن زوايا من نفسي لا

أستطيع من النفوذ إليها لو لا النقد الخارجي، كما أنه يعبر عن لغة أفعالي ودلالاتها الاجتماعية، وهو أمر لا أستغني عن فهمه حتى أحسن سلوكي الاجتماعي.

### ٦ - تعميق الاهتمام بالمستقبل:

وسادساً: أن أعمق مكانة المستقبل في اهتماماتي حتى لا يهيمن عليها الحاضر فأستغرق فيه وأهمل المستقبل، فإنّ الحاضر فترة قصيرة والمستقبل أمد مفتوح.

نعم الإنسان بطبعه يميل إلى تقدير الحاضر على حساب المستقبل من جهة معاشته إياه بدوافعه وانفعالاته وغياب المستقبل مهما كان الذي يحمله من ألم ومعاناة أو سعادة ونجاح.

لكن لا بد من ترشيد الإنسان لفكره في هذه النقطة، لأن غبن المستقبل غبن للإنسان الذي سوف يعيش هذا المستقبل، فلا بد من استحضاره بنحو حيّ حتى يحلّ محلّه اللائق في محاسبات الإنسان ومعادلته بين خياراته المختلفة.

### ٧ - الإشارة إلى وجوه السعادة المعنوية:

وسابعاً: أنّ من الضروري أن أوسع مفهومي من السعادة، فالسعادة منها مادية تتعلق بالاستجابة للغرائز

المعروفة، ومنها معنوية تتعلق بالاستجابة للحوائج المعنوية للنفس مثل الاتصاف بالعقلانية والطمأنينة النفسية والأنس والأمل.

ومن هذه الرغبات المعنوية التي تعطي الاستجابة لها شعوراً بالسعادة - كما لاحظت ذلك في شأن نفسي - هي الاتصاف بالحكمة، لأنّ في نفس الإنسان نزوعاً فطرياً إلى الحكمة - كما تقدم -، فإذا استجاب الإنسان لهذا الشعور واحترمه في مقام العمل شعر بالسعادة وأدى ذلك إلى الطمأنينة والسكينة والاستقرار والاعتدال والثقة بالنفس، وإن لم يفعل أدى ذلك إلى نحوٍ من القلق والاضطراب وانفصام الشخصية والإحباط.

كما أن من جملتها أيضاً الرغبة في القيم الفاضلة، فإنّ هذه القيم مزروعة في باطن الإنسان، فيجد الإنسان سعادةً معنوية كبيرة بالاستجابة لها ويؤدي ذلك أيضاً إلى الطمأنينة والثقة بالنفس والاعتدال، كما أن ممارسة الخطيئة تؤدي إلى ضرب من السخط المضر على النفس والإحباط، مما يوجب عدم اعتدال شخصية الإنسان، ومن ثم لا ترى المحترف للكذب والخيانة والفحشاء والاعتداء على الآخرين مستقيماً نفسياً.

ومن جملتها أيضاً: الرغبة بالسمو عن المادة والتعلق بها وراء هذه الحياة المادية، وهذه الرغبة هي سبب انجذاب الإنسان إلى فكرة الله والشعور بالروحانية والارتقاء عن المادة عنده. وهذا شعور يحتاج الإنسان إلى إرضائه وإلا أدى إلى ضرب من المادية المفرطة التي تبلغ حداً لا يستمتع الإنسان بما يجده من المتع المادية بما يناسبها، وكأنه يبحث عن شيء لا يجده.

هذا وهناك تزاخم وتعارض بين الإفراط في الاستجابة للغرائز وبين إرضاء الرغبات المعنوية، لأن الاستجابة المفرطة للغرائز تقوي اقتضاءاتها في نفسها، ويؤدي ذلك إلى ضمور الرغبات المعنوية للإنسان، ومن ثم كانت القناعة المادية ذات دور كبير في السعادة المعنوية. إنني أجدني أغفل كثيراً عن حاجتي إلى هذه الجوانب المعنوية، حتى كأن السعادة منحصرة في الحوائج المادية، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى فقدان الاتزان والاستقامة الداخلية للإنسان، ويخلق له وجوهاً من المعاناة.

## ٨ - الانتباه إلى دور ممارسة الحكمة في

ازديادها:

وثامناً: أنني لكي أتصف بالحكمة وأزداد منها لا بد لي من التعلم والممارسة جميعاً، فإن الإنسان كلما مارس

الحكمة نبتت في داخله، فكأنّ منبع الحكمة في النفس الإنسانية مغطى بالأنانيات والرغبات، فكلما مارس الحكمة ساعد على فورانها وظهور مزيد منها، أو كأنّ بذرة الحكمة في النفس الإنسانية تُسقى بالاعتبار بها فتنمو لتكون شجرةً باسقةً في نفس الإنسان، أو كأنّ صوت الحكمة يجبو ويخفت بعدم الاعتناء به حتى لا يكاد يُسمع، فإنّ أصغى إليه أضحى أكثر ارتفاعاً ووضوحاً، فالاعتبار بالحكمة يساعد على الاهتداء إلى مزيد منها.

هذا، ومن تكاسل عن العمل بالحكمة فلا ينبغي أن يحجبه ذلك عن أن يثبت على نفسه أنه مقصر عنها وأن عليه أن يسعى إليها ويتمسك بالأمل بأن يوقّق لها يوماً، فإنّ ذلك خيرٌ من أن يتنكّر لها ويعرض عنها، لأنّ ذلك يوجب قفل قلب الإنسان<sup>(١)</sup> والختم عليه بالتعبير القرآني. ومن كابر في الموقف الحكيم أصيب بقساوة القلب وخمود العقل وسلب الحكمة التي أوتيتها.

---

(١) والمراد بالقلب في هذا السياق هو مركز الشعور الموقظ للإنسان الذي يتيح للإنسان الاستجابة المناسبة لحوادث الحياة.

## ٩ - أهمية التحلي بالحكمة في الأمور الخطيرة:

وتاسعاً: أنني وجدت أن الاتصاف بالحكمة يكون أكثر ضرورة كلما كان الأمر خطيراً.

وخطورة الأمور متفاوتة، فهناك ما هو واضح والخطورة بالنظر إليه مثل ما يكون مظنةً لهلاك النفس ولكن هناك خطوات تبدو غير مهمة وناعمة ولكنها مزلفة إلى سلوك خطير أو مرشحة لأن تؤدي إلى خصلة خطيرة لا يسهل الإقلاع عنها. فهي بذلك أشبه بعدم التوقي من جرائم فتاكة رغم صغرها من جهة نشاطها وتكاثرها.

ومن هذا القبيل بعض السلوكيات الأخلاقية الخاطئة<sup>(١)</sup> أو الممارسات السياسية، وقد لوحظ من خلال

---

(١) تدل الدراسات النفسية على أن الابتلاء بالعديد من المشاعر الجنسية غير المستقيمة ينشأ عن حوادث وممارسات في بدايات الرشد الجنسي للإنسان، لأن تلك البدايات ترسي اتجاهات عميقة ومؤثرة جداً في النفس الإنسانية، ومن ثم كان الاهتمام المؤكد في الدين برعاية الأطفال في هذا الجانب كما يتمثل في وصايا عديدة، منها: آية الاستئذان في سورة النور.

الاستقراء أن العديد ممن كان يتحرى السداد والحكمة وقع في أخطاء كبيرة بممارستها، حتى صار وانزلت به الأمور إلى حيث لم يكن يحتسب، أو يتوقعه الآخرون في حقه.

### ١٠ - الانتباه إلى السنن الاجتماعية:

وعاشراً: أنني حيث كنت أعيش في ضمن مجتمع إنساني بطبقاته المتعددة - من أسرة وأرحام وأصدقاء وأهل محلي ومدينتي وبلدي إلى أن يبلغ المجتمع الإنساني كله حيث أصبح العالم أشبه بالقرية الصغيرة بفعل وسائل الاتصال والتواصل - فإنّ عليّ أن أنظر في تحديد السلوك الحكيم إلى السنن الاجتماعية ابتداءً من السنن الأسرية حتى السنن الإنسانية العامة، وأن أستوعب قواعد التعامل الصائب في ضوء ذلك، لأن هذا المشهد كله مشهد واحد ومتفاعل، فمن أهمل في سلوكه مراعاة بعض أجزاءه لم يضمن إصابة وجه الحكمة بما قد يترتب عليه من ارتدادات لم يتوقعها، فإذا كنت أعيش في أسرة بين والدي وإخوتي وأخواتي فإنّ عليّ أن أتعامل على أساس معرفة خصال الجميع وموقعي بينهم وما يصح ويليق بالنظر إلى حالي وحالهم معاً ولا أتعامل

داخلها حتى كأني أعيش وحدي من دون اعتبار بآراء الآخرين وانطباعهم عني، وهذا أمر واضح، وعليه فقس المجموعات الأخرى التي أعيش بينها من أرحام وأصدقاء وما إلى ذلك، فهناك اعتبار ضروري لكل بحسب ما يليق به.

### وصف أهمية سعادة الآخرين في إسعاد الإنسان:

وقد لاحظت في ضوء ذلك أنّ على المرء أن يعرف أن سعادة الفرد مرتبطة بسعادة مجتمعه من أسرته وجيرانه وزملائه في العمل وأصدقائه والعمال لديه وسائر المجتمع العام، فمن رغب في سعادة نفسه اقتضى أن يهتم بسعادة من حوله ويريد لهم الخير والدعة والسعادة، فالفرد السعيد إنما يكون في الوسط السعيد، ويخطئ كثير من الناس إذ يعتقدون أنهم يمكن أن يعيشوا السعادة من دون من حولهم بل على حساب سعادة من حولهم أيضاً، فتحدث لديهم بذلك عوارض وابتلاءات قد لا يفهمون منشأها وسببها، فهناك من الأزواج من يفكر في سعادته هو دون سعادة زوجته، فيتصرف كما يشاء، فيبتلى بحياة غير مطمئنة تشوبها خلافات زوجية واضطرابات نفسية وانفعالات شديدة وانفصال عاطفي يسبب له ولها

عوارض مرضية لن يسلم من آثارها، كما يؤثر ذلك على سلامة أولاده الذين ينطلق من الرغبة في إسعادهم وهو لا يقدر ذلك كله، وهكذا الحال في سائر الأصناف الذين ذكرناهم.

ومن ثم ينبغي أن يكون المرء مهتماً - حسبما يتيسر له - بعدم عناء الآخرين من حوله وشقائهم، كما ينبغي للمجتمع أن يهتم بمثل ذلك.

ومن ثم يسعى الباحثون في علم التنمية المعاصر - كما لاحظت - إلى التأكيد في طرق التنمية الذاتية والاقتصادية على الاهتمام بإسعاد الآخر، حيث لوحظ أنه مظنة لاستتباع سعادة المرء.

مثلاً إذا كان مدير الشركة يريد نشاطها ونموها فلن يكون الطريق الصحيح أن يقتر الإنفاق على الموظفين والعمال لديه ويوجب مزيداً من العناء والتضييق لهم، بل عليه أن يسعى إلى إسعادهم والحدّ من معاناتهم حتى يشعروا بأن هذا هو مشروعهم ورأس مالهم فيخلصون في عملهم ويتوقّون الخطأ والخطيئة في أمره.

وإذا كان الإنسان يقدم على كثير من الخطوات ويتحمل الكثير من العناء لأجل أن يحصل على مزيد من

المكاسب ويصل إلى مزيد من السعادة فإنّ عليه أن يعلم أنّ الاهتمام بسعادة الآخرين فضلاً عن كونه فضيلة أخلاقية ليس أقلّ منها في استتباع السعادة له.

وهذا الموضوع ينتهي إلى فهم أدقّ للعلاقة الوثيقة بين الحكمة والفضيلة.

هذه بعض الخطوات الحكيمة العامة التي لامست الحاجة إليها في الحياة.

وهناك حكم تفصيلية كثيرة أفدتها من خلال نصوص حكيمة ومن خلال التأمل في حوادث الحياة، إلا أن المهم في شأن الحكمة ليس هو الاطلاع عليها بل الوعي بها والذي يؤدي إلى استحضارها في محلها وتطبيقها في العمل والسلوك.

إنني أشعر بحاجتي إلى مزيد من الحكمة في الحياة - إن كنت في الأصل قد أوتيت شيئاً منها - في كل جانب من جوانب حياتي وفي كل بعد من أبعادها، ولا أزال أجد إخفاقاً في استثمار أفضل لحياتي وانصرفاً إلى صغائر الأمور وعواجلها وظواهرها بدل الانتباه إلى مهماتها وعواقبها وبواطنها، ولعلّ الله سبحانه ييسّر لي مزيداً من التوفيق في هذا المسير.

## الحكمة والدين:

لا شك في أن المتوقع من الدين الصادق أن يؤكد على اتجاه الإنسان إلى المنحى الحكيم في الحياة تبصراً وسلوكاً، لأن هذا الدين رسالة الإله الخالق للإنسان، ولن يكون الإله الخالق - المتصف بالعلم والقدرة والاختيار - بطبيعة الحال إلا حكيماً، فهو منبع الحكمة ومصدرها، وقد خلق الإنسان مجهزاً بالعلم والقدرة والاختيار والنزوع إلى الحكمة، فلا بد أن تأتي رسالته ملائمة لصفاته ولما فطر عليه الإنسان.

وقد وجدت الدين كذلك، حيث لاحظت اهتمامه بتنمية النزوع الحكيم في الإنسان من خلال حثه على تنمية روح الحكمة في داخله وإمداده بتعاليم حكيمة تصونه عن الخطأ في هذه الحياة.

والواقع أن إنباء الإنسان بالنبأين الخطيرين وهما وجود الإله المعني بالإنسان وخصائصه، وبقاء الإنسان بعد هذه الحياة مرهوناً بتبصره وسلوكه فيها قد جاء في هذا السياق، ليكون تصرف الإنسان وسلوكه ملائماً مع الحقائق المحيطة به والمهمة له، كما يعلم الوالدان أولادهم والمعلمون تلاميذهم الحقائق التي تحيط بهم مما ينبغي

اطلاعهم عليها.

ففي القرآن الكريم تجد تكرر تذكير الإنسان بأن هذه الحياة مبنية على سنن وقواعد تؤدي بالإنسان إلى السعادة أو العناء والشقاء، وأن الهدى الصحيح في الحياة يؤدي إلى ما تسمح به الحياة من سعادة للإنسان، كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١).

كما أكد القرآن الكريم على أن بعثة الرسل إنما كانت في الأصل لأجل تعليم الإنسان الحكمة، قال سبحانه:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رُسُلًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٢) سورة البقرة: ١٥١. ومن الآيات الأخرى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رُسُلًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الجمعة: ٢)، وقال جلت الآؤه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ

وقد ألهم الله سبحانه عباده الذين أرسلهم بمزيد من الحكمة كي يتأتى لهم الأداء الكفوء لهذه الرسالة الحكيمة، كما قال سبحانه عن آل إبراهيم عليه السلام: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(١)</sup>، وجاء عن داود عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ﴾<sup>(٢)</sup>، وعن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾<sup>(٣)</sup>، وعن رسول الإسلام ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ ﴿ (سورة الزخرف: ٦٣)، وقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ \* حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ﴾ (سورة القمر: ٤-٥)، وقال تعالى: ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ (سورة البقرة: ٢٣١).

(١) سورة النساء: ٥٤.

(٢) سورة ص: ٢٠.

(٣) سورة المائدة: ١١٠.

(٤) سورة النساء: ١١٣.

وقد دعا سبحانه الرسل إلى الدعوة إليه بالحكمة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت التشريعات الاعتقادية والسلوكية في الدين استجابةً لمقتضى الحكمة بالمنظور الأوسع، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وتفريعاً على ذلك: دلت النصوص على أن الإيمان بالله ورسالاته يقوي روح الحكمة في الإنسان - كما نجد ذلك في العديد من الصالحين - وأن حكمة الإنسان

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة لقمان: ١٢.

(٣) سورة الإسراء: ٣٩.

المؤمن تعبّر عن قوة روح الإيـان فيه، كما أن قلة حكمته تعبّر عن خلاف ذلك، ولذلك ورد ما يفيد أن المؤمن كئس وعافل وأنه ينظر إلى الأمور بتبصر ولا يُلدغ من حجر مرتين.

كما يتفرع عن ذلك أن لحكمة الإنسان المؤمن دخل في حسن تلقي الدين سواء في مبادئه وقيمه العامة أو في تشريعاته التي يبتني عليها، أو فيما يتعلق بتطبيق تلك المبادئ والتشريعات وتشخيص المرء لوظيفته الشخصية والأسرية والاجتماعية في ضوءها. فالحاضنة الملائمة في داخل الإنسان تجعله أكثر استعداداً لاستقبال المبادئ الحكيمة وأقدر على تطبيقها في مواردها تطبيقاً راشداً وصائباً.

### **وجوه إعانة الدين للإنسان في مسيرة الحكمة:**

إنني أجد أنّ الدين يعين الإنسان في مسيرة الحكمة من وجوه ثلاثة:

**الوجه الأول:** إمداد الدين للإنسان بالتعاليم الحكيمة والأنباء الصادقة في شأن الأسئلة الكبرى للإنسان من وجود الله تعالى، وبقاء الإنسان بعد الحياة، وأصول السبيل الرشيد في الحياة.

إنني أرى أن نبأ الآخرة لهو نبأ عظيم جداً من شأنه أن يغير زاوية رؤية الإنسان الحكيم للحياة تماماً، لأن مقتضاه أن يكون الإنسان في هذه الحياة في فرصة امتحان واختبار، وتلقيه نتيجة تبصره وسعيه في حياة أخرى، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن نبأ الآخرة لا يقتضي وفق الدين الإعراض عن هذه الحياة تماماً، ولكن يقتضي أن توضع بجانب الحياة الأخرى وتقدّر بقدرها، كما قال سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾<sup>(٣)</sup>. وإنني قد انتفعت بتعاليم الله سبحانه وإرشاداته في رسالته إليّ وإلى الإنسان انتفاعاً كبيراً، فكانت رسالته

(١) سورة النجم: ٣٩-٤١.

(٢) سورة الجاثية: ٢٩.

(٣) سورة القصص: ٧٧.

رسالة ملهمة ورائعة حقاً.

كما إنني استضأت بالسيرة والوصايا الحكيمة والرائعة التي أثرت عن عباده المميزين الذين عُنِي بهم عناية خاصة من خلال الإلهام والتسديد ولا سيما رسول الإسلام ﷺ وتلميذه الإمام علي عليه السلام.

**الوجه الثاني:** إعانة الله سبحانه للإنسان في مسيرة الحكمة، فقد جاء في رسالة الله سبحانه إلى الإنسان أنه تعالى ظهر للإنسان في الاتجاه الحكيم، متى كان ناصحاً لنفسه في هذا الاتجاه ورجا من الله سبحانه أن يكون عوناً له فيه، فهو يمدّه بالإلهام والتسديد والإيحاءات الراشدة ويثبته على المسار الحكيم.

إنني أحسست بشكل فعلي في العديد من المواقف في حياتي بأنه سبحانه قد رعاني واستجاب لاضطراري وساعدني في الاتجاه الحكيم، وأعتقد أنني لو كنت أريد نصحاً لنفسي وأشدّ تعلقاً بالحكمة لزادني، على أنني أرجو وآمل المزيد من فضله تعالى.

**الوجه الثالث:** إن الدين يحفز الإنسان نحو الاتجاه الحكيم ويقوي فيه الدواعي الحكيمة من نواحٍ متعددة، منها ما يلي:

١ - أصل حثه على التحلي بروح الحكمة وبيان ضرورته وخطورة الاسترسال في الحياة من دون أخذ بالاعتبارات الحكيمة، فإن من شأن هذا الحث والتأكيد أن يحفز الإنسان على الاستجابة له كما هو الحال في حث الآخرين كالوالدين والأصدقاء الإنسان على شيء معين، حيث إنه يحفز دواعي الإنسان تجاهه بطبيعة الحال.

٢ - حثه الدين على العلم والتفكير والعقلانية المعرفية، كما في مئات من الآيات القرآنية بألسنة مختلفة، فإن من شأن المعرفة الصائبة أن تقوي الدواعي السليمة، لأنها تكشف سنن الحياة ومخاطرها.

٣ - تقدير السلوك الحكيم والصائب من خلال المكافأة والثواب، والتحذير عن السلوك الخاطئ من خلال المعاقبة والجزاء، فإن الإنسان لن يستغني في أي مسارٍ عن دعم الإحسان والردع عن الإساءة، وتلك سنّة مشهودة من سنن الحياة.

٤ - الحث على القيم الفاضلة، والترغيب عن أضرارها، ووعده المحسن بالإحسان، ووعيد المسيء بالإساءة، فإن رعاية القيم الأخلاقية خاصة قيم مشروعية السلوك - مثل العدل والصدق والوفاء والعفاف - توافق

الحكمة، لأنها - فضلاً عن أهميتها في حد ذاتها - أسباب نوعية للسعادة في هذه الحياة، كما أن أضرارها أسباب للعناء والشقاء.

وينبغي الانتباه فيما يتعلق بموضوع الدين والسعادة إلى أن الدين إذا كان يرشد الإنسان إلى مراعاة حدودٍ في سلوكياته فإنّ ذلك في الحقيقة ليس مراعاة سعادة الآخرة فحسب، بل هي مراعاة سعادته في هذه الحياة أيضاً ولكن برؤية أشمل وأوسع، لأن المحددات الإلزامية للسعادة في الدين ليست إلا تحريات للقيم الفاضلة مثل العدل والصدق والوفاء وأخواتها، ولا شك في أن هذه القيم عموماً ضرورية في سعادة نوع الإنسان في هذه الحياة بالنظرة الشاملة.

على أنني أعتقد أن الإيمان بوجود الإله وبالدار الآخرة من شأنه أن يوفر للإنسان أسباباً إضافية للسعادة المعنوية والمادية من نواحٍ متعددة، منها:

١ - أن ذكر الله سبحانه بنفسه يمثل حاجة فطرية للإنسان يوجب له سعادة وسكينة وطمأنينة شأنه سبحانه شأن الإيفاء بسائر الحاجات الفطرية، كما أن الاعتقاد ببقاء الإنسان بعد الممات يستجيب لشعور

إنساني فطري، حيث إن الأمل بالبقاء أمل متجذر في نفس الإنسان وافتقاده يوجب الشعور بالخواء، ومن ثم ينظر الناس إلى ذويهم وإلى العظماء بعين البقاء.

٢ - أن للإنسان حاجة روحية إلى المكانة والمنزلة وإلى الأُنس وإلى الأمل وإلى الترفع عن المادة بعض الشيء، وكل ذلك يتحقق على وجه جميل وملائم مع ذكر الله سبحانه، كما أن الآخرة تحقق للإنسان بديلاً يفكر به ويأمل فيه عما يجده من وجوه الفناء والشقاء في هذه الحياة لا سيما فيما كان لأجل الله سبحانه ورعايةً للقيم الفاضلة.

٣ - أن الله سبحانه قد وعد الإنسان بإعانتة في حوائجه المعنوية المتقدمة وفي حوائجه المادية الفطرية من الرزق والزوج والولد والعافية والعمر ونحوها بمقدار ما تسمح به مقاديره لهذه الحياة من حيث يحتسب ولا يحتسب، كما قال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ

(١) سورة النمل: ٦٢.

بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿١﴾، وقد ضرب الله سبحانه مثلاً لإجابته  
لدعاء أنبيائه في القرآن الكريم.

إنني انتفعت في حياتي كثيراً بتحفيز الدين لي في  
الاتجاه الحكيم، فكم من خطأ أو خطيئة تحرزت عنه في  
أثر تحفيز الدين وتشويقه أو تحذيره، وكم من عمل  
صائب وناجح لي في مسيرتي تيسر لي في أثر الدين، لقد  
استنقذ الدين بتعليماته ونصائحه كثيراً من لحظاتي عن  
اللغو والقلق والفراغ والتكاسل وعن الانشغال بالأمور  
الخاطئة والتافهة، وأثار فيّ روح الطموح والصبر والعمل  
لأجل الاستثمار الأمثل لفرصتي في هذه الحياة.

إنني أنظر إلى الله سبحانه - من خلال إنبائه عن نفسه  
في رسالته إليّ وإلى الخلق جميعاً - كقيّم حكيم على الحياة،  
وراعٍ للمسيرة الحكيمة للإنسان فيها، فهو يهدي إلى  
الاتجاه الحكيم ويحفز على الخطوة الحكيمة ويقدرها،  
وأقرب ذلك لنفسي - والله المثل الأعلى - برعاية الوالدين  
الحكيم في الأسرة للمسيرة الحكيمة للأولاد، وأنظر إلى

الدين - وهو رسالة الله سبحانه إلى الإنسان - كواعية ظاهرة للحقيقة والحكمة والفضيلة يستحث ويدعم صوت العقل والحكمة والضمير في داخل الإنسان الذي هو واعية باطنة في داخل الإنسان.

إنّ الاختبار الحقيقي للإنسان في هذه الحياة هو مدى تحليه بروح الحكمة وجريه وفق قواعد السلوك الحكيم فيها، فالحياة للإنسان مضمار للسباق في ذلك، وليس أولى الناس بالتقدير أكثرهم تنعماً في هذه الحياة، بل أكثرهم حكمةً فيها ومكافحةً في سبيلها، فالحكمة هي التي تحدد مراتب الناس ودرجاتهم.

إنّ الإنسان في تأمله لما ينبغي له من السلوك الحكيم في هذه الحياة حيث يلاحظ سنن الحياة - ذات العلاقة بالإنسان - في مختلف نواحيها النفسية والأسرية والاجتماعية والتاريخية يجد فيها تناسقاً وتلاؤماً وحكمةً مما يمثل صناعة هذا البعد من قبل صانع مبدع وقدير وحكيم، كما يجد ذلك الفيزيائي عند الوقوف على القواعد الفيزيائية لبناء الكون وجمالها والدقة فيها ومتانة العلاقة بينها، وهي ليست بأقل من السنن الفيزيائية روعةً ودقةً وجمالاً، فحقاً إن كل جانب من جوانب هذا

الوجود الواسع والمتنوع آية رائعة ومذهلة من آيات صانع مهيمن وقدير، وهو يُشعر الإنسان بالصغر والضآلة والاحتقار والعجز أمام هذه المقدره الفائقة غير المتناهية والعلم الشامل والمحيط، ويستوجب منه الإعجاب والتقدير والخضوع، وحقاً إن كل شيء في هذا الكون يخضع لتقدير هذا الإله القدير، فكأنه يسجد له ويسبح بحمده، فما أحرأه بتسبيح الإنسان وحمده دوماً.

إنني أختتم هذه المحاضرة بآيات تذكر الإنسان بواعية الله سبحانه وندائه الحكيم للإنسان، ثم بكلام للإمام علي عليه السلام.

١. قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

٢. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ \* الَّذِي جَعَلَ

لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا  
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

٣. وقال جلت آلاؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ  
بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا \* فَأَمَّا الَّذِينَ  
آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ  
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (٢).

٤. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ  
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ  
\* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا  
يَجْمَعُونَ... وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا  
تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ  
وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ  
مُّبِينٍ﴾ (٣).

(١) سورة البقرة: ٢١-٢٢.

(٢) سورة النساء: ١٧٤-١٧٥.

(٣) سورة يونس: ٥٧-٥٨، ٦١.

٥. وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ  
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١).

٦. وقال جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ  
ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ  
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢).

وقال الإمام علي عليه السلام في وصيته المعروفة لابنه الحسن  
عليه السلام، وما يلي مختارات من وصاياه العامة (٣).

١. ((إِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيُّ بُنْيٍّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ،  
وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَالِإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ  
مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ)).  
٢. ((أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَأَمْتَهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ  
بِالْيَقِينِ وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ)).

٣. ((وَدَعَ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ

(١) سورة يونس: ١٠٨.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح ص: ٣٩١-٤٠٥.

تُكَلِّفُ، وَأَمْسِكُ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ  
عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ)).

٤. ((وَعَوِّذْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمُكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ  
التَّصَبُّرُ)).

٥. ((..لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ، مَا قَدْ كَفَاكَ  
أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفَيْتَ مَثُونَةَ  
الطَّلَبِ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا  
قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ)).

٦. ((وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَأَفَّةُ  
الْأَلْبَابِ)).

٧. ((وَاعْلَمْ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَلَنْ تَعْدُوَ  
أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ  
وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ،  
وَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ)).

٨. ((أَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ، وَإِنْ سَاقَتَكَ إِلَى  
الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِهَا تَبْدُلًا مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا،  
وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا، وَمَا خَيْرٌ خَيْرٍ لَا  
يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسَّرُّ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ)).

٩. ((وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ

مَنَاهَلِ الْهَلَكَةِ)).

١٠. ((رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالدَّاءُ دَوَاءً)).

١١. ((وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَغَشَّ الْمُسْتَنْصِحُ)).

١٢. ((وَأَيَّاكَ وَاتَّكَلَّكَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ

الْمَوْتَى))<sup>(١)</sup>.

١٣. ((وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا

وَعَظَّكَ)).

١٤. ((اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ

أَشْبَاهَ)).

١٥. ((اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بَعَزَائِمِ الصَّبْرِ،

وَحُسْنِ الْيَقِينِ)).

ومما جاء في وصيته عليه السلام تلك في الإيضاء بالتواصل

مع الله سبحانه: ((وَأَلْجِئُ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ،

فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفِ حَرِيْزٍ وَمَانِعٍ عَزِيْزٍ، وَأَخْلِصْ فِي

الْمُسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَأَكْثَرَ

الِاسْتِخَارَةِ)).

(١) نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده ج: ٣ ص: ٥٢.

وقال عليه السلام: ((واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض، قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة - إلى أن قال عليه السلام - فإذا ناديتَه سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وأبثته ذات نفسك وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره، من زيادة الأعمار وصحة الأبدان، وسعة الأرزاق، ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه، بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شايب رحمته، فلا يقنطك إبطاء إجابته، فإن العطيّة على قدر النية، وربما أخرجت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الأمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه، وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صرفت عنك لما هو خير لك، فلو أمرت قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، وينفى عنك وباله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له)).

ومن وصيته عليه السلام فيها بالاهتمام بالآخرة: ((واعلم يا بني أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا، وللفناء لا للبقاء

وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي قُلْعَةٍ وَدَارٍ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى  
الْآخِرَةِ - إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: - وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ  
إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالِبِهِمْ عَلَيْهَا فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ  
عَنْهَا، وَنَعَتْ هِيَ لَكَ عَنْ نَفْسِهَا وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ  
مَسَاوِيهَا - إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا -: سَلَكْتُ بِهِمْ  
الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذْتُ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى،  
فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا فَالْعَبْتُ  
بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا. رُوِيَ أَنَّ يُسْفِرُ الظَّلَامُ،  
كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتْ الْأَطْعَانَ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ  
وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ  
يُسَارُّ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَقِيفًا، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا  
وَإِدْعَاءً).

هذا آخر ما تيسر ذكره، والحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.





## الفهرس



٣	هذه السلسلة
٥	تمهيد
٨	دعامتان للسلوك الراشد
١٣	دعامة الحكمة
٢١	خطوات حكيمة في الحياة
٢١	١ - جعل التحلي بروح الحكمة هدفاً
٢٢	٢ - التحلي بروح التعلم وأخلاقياته
٢٣	٣ - الاستغناء بالاعتبار عن التجربة المباشرة
٢٥	٤ - الحاجة إلى تربية النفس على الحكمة
٢٦	٥ - القدرة على نقد الذات
٢٨	٦ - تعميق الاهتمام بالمستقبل
٢٨	٧ - الإشارة إلى وجوه السعادة المعنوية
٣٠	٨ - الانتباه إلى دور ممارسة الحكمة في ازديادها
٣٢	٩ - أهمية التحلي بالحكمة في الأمور الخطيرة
٣٣	١٠ - الانتباه إلى السنن الاجتماعية
٣٤	وصف أهمية سعادة الآخرين في إسعاد الإنسان
٣٧	الحكمة والدين
٤١	وجوه إعانة الدين للإنسان في مسيرة الحكمة
٥٧	الفهرس

إنّ الاختبار الحقيقي للإنسان في هذه الحياة هو مدى تحليه بروح الحكمة وجريه وفق قواعد السلوك الحكيم فيها، فالحياة للإنسان مضمار للسباق في ذلك، وليس أولى الناس بالتقدير أكثرهم تنعماً في هذه الحياة، بل أكثرهم حكمةً فيها ومكافحةً في سبيلها، فالحكمة هي التي تحدد مراتب الناس ودرجاتهم.

تَجَرَّبْتُ فِي الْحَيَاةِ  
الَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ